الدرية
مجلة علمية محكمة
تصدرها كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنين بدسوق

الإرهاب مفهومه وتمثلاته في شعر الدكتور صالح الزهراني

(رياض الزعفران، واللحن الأخير على شفة المغني)

د/عبد الرحمن بن صالح عبد الرحمن الخميس
أستاذ الأدب والنقد المساعد في كلية العلوم والآداب بالرس - جامعة القصيم

العدد الرابع عشر - الجزء الأول - ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

يقوم هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي، بغية الكشف عن مفهوم الإرهاب وتمثلاته في شعر الدكتور صالح بن سعيد الزهراني؛ وتحديداً في مجموعتيه: رياض الزعفران، واللحن الأخير على شفة المغني. وتتجاوز المجموعتان مئة صفحة، وهما الأخيرتان من ثماني مجموعات أخرجها الشاعر تحت عنوان: (الأعمال الشعرية)، وذلك عام١٤٣٤هـ-٢٠١٣م. وقد وقع الاختيار عليهما لمواكبة المنتج فيهما الأحداث الأخيرة التي عصفت- ولا زالت تعصف- بالأمة العربية والإسلامية، فمعظمه مؤرّخ بين عامي ١٤٢٨هـ و١٤٣٣هـ، وفيه تفاعل الشاعر مع الأحداث بطريقة نستطيع من خلالها تحديد مفهوم الإرهاب كما يراه هو، وتمثلاته التي بدت له.

وقد رصدنا ثلاثة أنواع من الإرهاب: إرهاب عالمي يتمثل في مؤامرات الأعداء في العصر الحاضر، ومآلات تفكّك الأمتين العربية والإسلامية. وإرهاب مجتمعي تذكيه العادات والتقاليد التي لا تزال تتحكم بالشعوب، والمحاسبة على الكلمة والرأي، والدعوات المغرضة التي تسعى إلى إحداث الفُرقة، وفساد المسؤولين في الجانبين الإداري والمالي، وضياع معنى الوطنية، والظلم السياسي الذي أدى إلى ولادة ما يسمى بالربيع العربي. وإرهاب الزمن الذي يتجلى عند الشاعر من خلال إحساسه بالوحدة، والضياع، والخوف من الحاضر والمستقبل. واستكشفنا- في ثنايا الحديث عن هذه الأنواع- طريقة معالجة الشاعر للإرهاب المتّسع والمتشعّب لديه، وتعامله الإيجابي والسلبي؛ كالنصح والتوجيه، والتعزّي بالماضي التليد من أجل إذكاء الصبر والتماسك، والدعاء والالتجاء إلى الله، والاستسلام، والهروب عن الواقع إلى ماضي جميل- كما يراه - أو إلى عالم آخر متخيل.

أولاً: مفهوم الإرهاب:

لا نكاد نجد في المعاجم اللغوية دلالة يحملها الأصل (ر-هـ-ب) إلاّ ونراها تدور حول الخوف والخشية والفزع...إلخ، ومنه لفظة (الإرهاب)؛ مصدر الفعل (أرهب) بمعنى أخاف وأفزع وروّع[1]. أما في العصر الحديث فيتجاذب مفهومَها تصوران اثنان: تصور يقصره على الممارسات العدوانية الجسدية، متخذاً قاعدته في ذلك من رؤية دينية سياسية[2] أو اجتماعية[3]؛ وآخر يوسّع من دلالته بشكل أكبر، لتحمل جميع أشكال الممارسات

---

١ - ينظر مثلاً: **كتاب العين**، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق د.مهدي المخزومي و د.إبراهيم السامرائي، طبعة دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، (هـ ر ب) ٤٧/٤. **تهذيب اللغة**، محمد الأزهري الهروي، تحقيق محمد عوض مرعب، ط١ ٢٠٠١م، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (هـ ر ب) ١٥٥/٦. **لسان العرب**، ابن منظور، ط٣ ١٤١٤-١٩٩٤م، دار صادر، بيروت، لبنان، (رهب) ٤٣٦/١.

٢ - عرفه الأستاذ الدكتور عبد الله محمد الطيار بأنه: "جميع الممارسات العدوانية بشتى صورها التي حرَّمها الإسلام وحذَّر منها ومنعها... وكلمة الإرهاب التي نقصدها هي قتل المؤمنين، وتخويف الآمنين، وهتك حرمة المعاهدين، واستهداف الأبرياء، وتدمير المنشآت، وتشويه سمعة الدين". **الإرهاب وأثره على البلاد والعباد**، مقال منشور في شبكة الألوكة: http://www.alukah.net/sharia/٠/٩٧٠٢/

وينظر في تناول الدكتور بيسم عبد العظيم له من خلال شعر عبد الرحمن العشماوي؛ إذ قصره على الإرهاب الممارس على الأمة الإسلامية: **مقاومة الإرهاب في الشعر السعودي المعاصر (شعر عبدالرحمن العشماوي أنموذجًا)**، مجلة الأدب الإسلامي/العدد ٥٠/١٤٢٧-٢٠٠٦م، ص١٨-٢٧.

٣ عرّفه السيد يسين بأنه: "يختلف عن الإرهاب التقليدي الذي تقوم به جماعات إرهابية مسلحة... ووجه الاختلاف أن هذا الإرهاب الاجتماعي تقوم به جماعات متعددة تختلف اتجاهاتها السياسية وتتعدد هوياتها الاجتماعية، ولكنها تجمع كلها على خرق مبدأ سيادة القانون تعتدي على أقسام الشرطة وتلقي زجاجات المولوتوف عليها وتمارس حرب الشوارع". **مخاطر الإرهاب الاجتماعي**، صحيفة الأهرام، الخميس ٥ رجب ١٤٣١ هـ ١٧ يونيو ٢٠١٠ السنة ١٣٤ العدد ٤٥١١٨.

العدوانية- الجسدية والفكرية- التي تثير في الإنسان الخوف والرهبة والقلق المستمر[١]. وإذا نظرنا إليه من زاوية الواصف أو المتّهِم، وجدناه مختلطاً بدلالات الظلم والجهاد والمقاومة والحرية والعنف، ومتشكلاً في صور عدة؛ منها تجبر الدول الكبرى، وتسلط السياسة وقهرها لشعوبها، والممارسات الدموية للجماعات المتطرفة[٢].

ويتّسع الإرهاب في شعر الدكتور صالح بن سعيد الزهراني ليتجاوز المفهوم الأول إلى الثاني، ثم إلى مفهوم أكثر سعة وشمولية بتجاوز مصدره الإنساني إلى مصدره غير الإنساني ممثلاً بالزمن؛ وليتخذ ثلاث دوائر كبيرة في داخلها أشكال. كما تتنوع معالجته له- في نظرنا- بين الإيجابية التي يؤمّل من خلالها تقديم ما يسهم في إنهاء الإرهاب أو تخفيفه، والسلبية التي لا تكاد تخرج عن التنفيس والفضفضة عما في الصدر من ضيق وحسرة وألم.

ثانياً: تمثلاته في شعر الدكتور صالح بن سعيد الزهراني:

---

١ - عرّفه الدكتور حسن جعفر نور الدين بأنه جميع "صور القتل والتدمير والاغتيال، وتقييد الحريات وفتح السجون والتفنّن في وسائل التعذيب، ليقترن الإرهاب الجسدي مع الإرهاب الفكري في أبشع صور القهر البشري". **صور الإرهاب الصهيوني في الشعر الفلسطيني المعاصر**، رسالة النجف الصادرة من جامعة النجف، السنة٤ العدد١٢ محرم١٤٢٩هـ-٢٠٠٨. ويدخل فيه كذلك العنف اللغوي والنفسي، والتهميش الأسري والاجتماعي. ينظر: **صور العنف السياسي في الرواية الجزائرية المعاصرة**، سعاد عبد الله العنزي، ط١ ١٤٣١هـ، دار الفراشة، الكويت، ص١٩.

٢ - ينظر: **تقنيتا الصوت والحركة في رواية "سوق الإرهاب" لمحمد عبد الله القواسمة**، د. عصام حسين أبو شندي، أحد البحوث المقدمة في مؤتمر الأدب في مواجهة الإرهاب والمعقود في يومي ١٥- ١٦/ ٣/ ١٤٣٣هـ في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، والمنشور في السجل الخاص به، ٩٤٩/٣.

١. الإرهاب العالمي:

وهو الإرهاب الذي تمارسه بعض القوى العالمية على الأمة العربية والإسلامية؛ سواء أكانت الممارسة مباشرة كالعدوان العسكري- أو المشاركة فيه- بغطاء رسمي أو دون غطاء، أو غير مباشرة كالمؤامرات والتدخّلات غير المبررة في الشؤون الداخلية؛ انتهازاً للضعف والتفكّك الذي تعيشه الأمة. وهذا النوع من الإرهاب حاضر بوضوح في شعر الزهراني، المهموم بواقع أمته المرير الذي ورّطها في قضايا كبيرةٍ مفاتيحُ حلِّها في أيدي غيرها. ويمكن أن نلمسه في قصيدة بعنوان (الفارس)[١]، وهي قصيدة تتخذ من الغزو الغربي للعراق موضوعاً أساساً، ومنه تنطلق إلى أحداث من الماضي والحاضر؛ متّكئة على التلميح والإشارة. ويختلط في القصيدة إرهاب العدو، واستشراف ما سيؤول إليه ضعف العرب وتفككهم في مواقفهم الداخلية والخارجية، الذي بدا واضحاً بعد خمسة عشر بيتاً- خاطب فيها ذلك البطل المنتظر وسأله العون وتغيير الواقع بعشرة أفعال أمر ونداء واحد-، حين أعلنه بقوله:

خمسون عاماً ينسجون حكاية ... من طولها يتثاءب المليارُ
كان الختامَ مجازرٌ مخصوصة ... وأصابع مقصوصةٌ، وجدارُ
عشرون جيشاً يأكلون طعامنا ... إنّا بكلّ جيوشهم كفار!
عشرون جيشاً للعروض فلا لها ... قلبٌ، ولا كفٌّ، ولا أظفارُ!
عشرون جيشاً، يا لعار جيوشهم ... إن لم يكن فتحٌ فأين الثارُ؟!

---

١ - ينظر: **الأعمال الشعرية**، ط١ ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م، النادي الأدبي الثقافي في جدة، ص٢٨٤.

فالخمسون إشارة إلى قضية فلسطين المعلّقة، والعشرون إشارة إلى الدول العربية التي لم تستطع أن تستردّ القدس، فهل تستطيع أن تثأر لقتلى بغداد؟!.

ولا يجد الشاعر ما يخلّصه من هذا الموقف العربي المتخاذل الذي أرهبته نتائجه، إلاّ أن يستعيد مكانة بغداد السامية في الماضي، ويستحضر مآل الشهادة في سبيل دحر المحتلين الظالمين:

بغداد ما انكسرت؛ لأنك عشقها ... بغداد مثلك في الغرام تغارُ

ومتى قلاع المجد تحني ظهرها ... وعلى الضفائر يعشب الثوّار؟!

بغداد يحرسها الجلال؛ لأنها ... باسمِ المحبة والجلال تدارُ

بغداد فاتحة الكلام وسحره ... للكبر فيها قبة ومزارُ

هذي الكريمة علّمت أجدادها ... في شرع حبي تسقط الأعذارُ

بغداد ثوب الشمس فوق جبينها ... مهما تطاير في السماء غبارُ

فوق النزيف تطير مثل غمامة ... ومتى يكون على الغمام حصارُ؟!

القادمون الخضر في أكفانهم ... نورٌ، وفوق جباههم نوّارُ

يتسابقون كأنهم فلق الضحى ... في كل وجه للجلال منارُ

ولا يكتفي بذلك؛ بل يستذكر أهل الشام وفلسطين، وبطولاتهم:

غابوا وما غاب الشآم؛ لأنه ... سِفرٌ تضيق بسِفره الأسفارُ

ما غاب زيتون الشآم، وأرزِهِ ... غارت على أعراضها الأشجارُ

لو كان في تلك الوجوه حميّةٌ ... ما ناب عنها في (جنين) صغارُ

ليختم القصيدة بالدعوة إلى الالتجاء إلى الله، والتصبّر، والتعزية بالقوة الماضية التي عرفتها بغداد:

قتلوك يا بغداد باعوا حبهم ... من أين يعرف قدرك التجارُ
مدّي يديك إلى السماء وهلّلي ... فالله فوق عدوّك القهارُ
ولأنت أصلب، كلما عصف الشجى ... شق العباب بصدره البحّارُ
إن كان فيك مهاجرون بحبّهم ... ومغامرون، فكلنا أنصارُ

ويتضح مما سبق كيف صوّر الشاعر هذا الإرهاب العالمي ممثلاً في تعدّي الغرب وتقاعس العرب، وكيف عالجه معالجة سلبية- نوعاً ما- بالانجرار إلى الماضي المجيد، وانتظار البطل المخلِّص؛ دون أن يطرح حلاً يمكن تطبيقه على أرض الواقع.

وفي قصيدة بعنوان (عنترة في طبعته الجديدة)[1]، ظهر قلق الشاعر من ضعف الموقف العربي أمام مؤامرات الأعداء؛ ممثلة في سجن (غوانتنامو)، الذي تناسى مَنْ فيه الوطنُ والأهلُ:

أنادي يا خليج غوانتنامو ... فهل سمع الأحبة عن ندائي
لقد أشرعت صدري للمنايا ... وأجنحتي بأبواب السماءِ
ودست على الحياة بظل نعلي ... لأن العيش أرخص من حذائي
على حدّ الخنوع نحرت عجزي ... فما للحرّ في زمن الإماءِ
يعلمني الحياء أبي وأهلي ... وأهلي يكذبون بلا حياءِ
تعبت من الخداع فجئت أعدو ... بقية من أحبّ إلى سواءِ
لماذا تقطعون يدي وكفي ... مخضّبة الأصابع من ولائي
عجبت لمن أجنّ به جنوناً ... أكون دواءه ويكون دائي!

---

١ - ص٣٠٣.

والأبيات نارٌ من عتابِ محبٍّ لا يرتضي الخنوع والذلة حتى ولو قدّم حياته ثمناً لذلك، وهنا نستطيع أن نقرأ عنوان القصيدة جيداً، وندرك السر في استجلاب الشاعر شخصية عنترة التي جمعت بين الحب والقوة، لكنهما في الشاعر من نوع آخر؛ إنه حب الوطن ممثلاً في (عبلة) لا تلك المرأة:

لعبلة والبلاد هوى قديم وعبلة والبلاد هما بلائي..

وعبلة كنز أفراحي وحبي فعبلة لم تكن إحدى النساءِ

وقوة في الدفاع عنه وحمايته:

مواطنتي يد تحمي وقلب وثغر لا يمل من الدعاءِ

ونستطيع كذلك أن نقرأ جيداً ذلك العتاب- العنيف أحياناً- الذي وجهه الشاعر إلى عبلة الوطن؛ بسبب تناسيها وإنكارها ما قدّمه من أجلها، كما في قوله:

وعبلة كيف تشطبني وتمحو ينابيعي وعبلة نبت مائي..

وما ذنبي إذا كانت ذنوبي بأني جئت ضد الإنحناءِ

وهذا العتاب نوع من التصدّي الإيجابي لإرهاب الأعداء والضعف معاً، يضاف إليه ما جاء في مقدمة القصيدة من بقاء وثبات على هاذين المبدأين؛ الحب والقوة:

إذا كان الحريق هو ابتدائي فهل أخشى يكون به انتهائي

وما ختمت به كذلك:

سأبقى والخناجر ملء ظهري لمن أهواه أفخر بانتمائي..

وإن أسرفت يوماً في بكائي فإن الناي يخلق للبكاءِ

ونستطيع القول بأن الشاعر وُفق كثيراً في معالجة هذا النوع من الإرهاب- في هذه القصيدة- معالجة إيجابية؛ اتخذت من التراث وقوداً لها دون أن تتكفئ عليه.

وسجل الشاعر حضوره في مواجهة الإرهاب الصهيوني في احتلاله فلسطين العربية وحصاره غزة الأبية، وهو حضورُ واعٍ متابعٍ لما يستجدّ في هذا الملف؛ ومن ذلك قصيدة بعنوان (أسطول الحرية)[1]. والعنوان مباشر، يكشف ما تحمله القصيدة من قضية معاصرة هي في غاية الأهمية، والمحاولات العربية والإسلامية في إنهاء تلك المعاناة. وتختلط فيها مشاعر الأسى والحزن، والأنفة والعزة؛ بدءاً من عنوانها، ومطلعها:

جبنوا، فكنت أبا السيوف المشهرةْ ... وركبت خيلاً للفتوح مضمّرةْ

وشطبت عذر المنهكين بطلعة ... كانت على حلك المدار مظفّرةْ

أبصرت غزة تستغيث بأهلها ... فدفعت للأحباب فيلق مرمرةْ...

وبدا الإرهاب الصهيوني- في القصيدة- منوعاً أمام تلك المحاولة الإسلامية لفك الحصار، فمن تهديد واستنفار لإحكام السيطرة وإبقاء الحصار:

البحر يدعو، والسفائن خشّع ... ومنى الأحبة نحو غزة مبحرةْ

فتساقط الليل البهيم، وأقبلت ... من كل ناحية قوى مستكبرةْ

ومن قتل واستهتار بدماء الأبرياء:

شهداؤنا الأحرار لم يتساقطوا ... كانوا لنا نحو الخلود القنطرةْ...

---

١ - ص٣٢٥.

ومن سلبٍ لكل معاني الفرح والسرور من الشعب المحاصر، حتى من أطفالهم:

خطفوا من الأطفال بسمة عمرهم وتطيـروا حتـى بـشدو القبّـرةْ

وتعاهـدوا أن تركـع الـدنيا لهـم وتجيء غزة وهي ترجو المعذرةْ

وتجاوز الشاعر الإرهاب العالمي الذي تمارسه الصهيونية، إلى الإرهاب الذي يعانيه المسلمون في بقاع مختلفة من الأرض؛ بسبب ما آلت إليه الدول الإسلامية من ضعف وهوان:

دمُنا على كل الجهات موزع ووجوهنا بيعت بسوق السمسرةْ

حبل على الجرار جرح بلادنا يمتد من كشمير حتى عطبرةْ

وحروبنا في كل يوم غزوة كل يقول: أنا فتاها حيدرةْ...

ستون عاماً واللقاءات التي عقـدت تعلمنـا فنـون الثرثـرةْ

وإذا سجّلنا للشاعر- في قصيدته هذه- مشاعره الجياشة تجاه قضايا الأمة العربية والإسلامية وتفاؤله الكبير بفجر صادق، فإنا نقف أمام معالجته لإرهاب الحصار الذي أثارته فيه حادثة الأسطول؛ وكان الأولى- في رأينا- أن يستحثّ همم العرب والمسلمين في استثمار هذه الحادثة، لا أن يستجلب الخذلان الماضي، ويعقد الأمل في رجل واحد فقط؛ فيبدأ القصيدة به:

جبنوا، فكنت أبا السيوف المشهرةْ وركبت خيلاً للفتوح مضمّرةْ

ويختمها كذلك:

أقلع بنا يا سيدي من عجزنا واخرج بنا من عمق هذي المقبرةْ

وأنا سأكتب للصباح قصائدي فلقد مـلأت مـن الإبـاء المحبـرةْ

ويستطيع القارئ أن يلاحظ بوضوح- وفي أكثر من قصيدة- مدى إحساس الشاعر بتفاقم الإرهاب العالمي على العرب والمسلمين، واتساعِ وطأته لتطال أكثر من إقليم ووطن؛ يذكيه الغدر وغياب الضمير. ومن ذلك ما جاء في قصيدته: (تقاسيم على أهداب المدينة الفاضلة)[١]، التي عاش فيها لحظة الزمن الفاصل بين الماضي المشرق والمستقبل المظلم بما يرى أمامه من إرهاب:

عند انعدام الوزن أنظر للوراءِ،
أرى الجباه الخضرَ،
أقماراً على صهوات خيل الله،
أودية من الأشواق تورق بالحياةِ.
وأدير وجهي للأمام،
فلا أرى إلا الخناجر في الظهور
ولا أرى إلاّ صدور العارياتِ.
وحذاءَ جنديّ من المارينز، بارجةً تدمدم في الخليج،
أرى بيروت عائمة على نهر من الأحقاد والفوضى،
وغزة خلف أحزمة الحصارِ،
سنابلاً ظمأى،
..
أدير وجهي للعراق فلا أرى،
إلا غصون الحزن في شطآن دجلة والفراتِ.
فوق انعدام الوزن أقرأ في شتاتي.

---

١ - ينظر: ص٣٤٥.

ولا يجد الشاعر أمامه مع تفاقم هذا الإرهاب، إلاّ أن يلجأ إلى مكة المكرمة وبيت الله الحرام؛ حيث النشوات الإيمانية، والرضا بقضاء الله وقدره:

آتٍ إليكِ، على فمي ورد الكلام،
وفوق أجنحتي بقايا نكهة الموالِ،
..
آتٍ، وعطر البيت يغمرني،
وشلالٌ من الأضواء، يُخرجُ من حدود الجذبِ جمجمتي،
ويمنحني ثباتي.
..
آتٍ إليكِ؛ لأغمس الكلمات في شفتيك...إلخ

ويشير هذا التكرار (آتٍ إليك) إلى أنّ الشاعر قد استنفد كل أمل وحلم، ولم يعد أمامه إلا مكة وبيت الله الحرام؛ وقد صرّح بذلك في قوله:

لم يبقَ إلا أنتِ،
يا حُلْمي، وأجمل أمنياتي.

ونستطيع أن نصف هذا الشعور- على عظمته- بأنه شعور سلبي، يستسيغ الاستسلام لإرهاب الأعداء والهروب من مواجهتهم، ويرتضى تجرّع الخنوع والذلّ والهوان واستمراء مرارة الأقدار؛ إيماناً بأنها كذلك، وأن المستقبل لن يختلف عن الحاضر.

ويعظم إحساس الشاعر بالإرهاب العالمي عندما يستحضر ضعف العرب والمسلمين، وتنكّك رؤاهم؛ إلاّ أن المعالجة الموضوعية- حينها- تذوب في اللغة العاطفية الثائرة، والرؤية تضيع في دهاليز المشاعر غير المنضبطة. ويظهر ذلك في قصيدة عنوانها (رسالة إلى من لا يهمه

الأمر)[١]، والمفارقة فيه مؤشّر على وقوع الشاعر في دوامة التذمّر؛ ويؤكده المطلع:

بطولاتكم عالقاتٌ،

على معبر العار هلكى.

غدت للمنافي

حكايات ذلّ،

تحاك وتحكى.

ويستعرض في قصيدته ممارسات هذا الإرهاب العالمي الذي وجد من الضعف العربي والإسلامي أرضاً صالحة؛ فأكل الحقوق والجهود، ووعد وخان:

لكم نصف قرن،

ولم تنصفونا،

...إلخ

أكلتم قوانا،

وخنتم دمانا،

وكنتم علينا،

...إلخ

شبعنا وعيداً،

وعشنا عبيداً،

ومتنا عبيداً

...إلخ

---

١ - ينظر: ص٣٥٢.

ولدنا نغني،

على القدس حزناً،

وعشنا نغني،

على القدس حزناً،

وحيفا،

وعكّا.

وهكذا تتوالى اللسعات التي تستهدف الذات المتخلّية عن نفسها، أكثر من استهداف الإرهابيين وأعمالهم؛ كما بدا واضحاً في تحميل فارس والهند ما أصاب العراق وكشمير، يقول:

تهاوى العراقُ

بسيف المجوسِ،

وكشمير تمشي،

إلى درب دكا!.

ولكن لا يلبث الشاعر أن يعود إلى ما كان عليه من جلد الذات المتقهقرة:

فشكراً جزيلاً،

ودمتم طويلاً،

نريد ضريحاً،

لهذي البطولات،

نصباً يزارُ،

وحائط مبكى...

وهنا تنتهي القصيدة من حيث ابتدأت؛ تحكمها نفس متذمّرة مستسلمة للواقع المرّ الذي أشغلها عن طرحٍ يمكن أن يمهد الطريق للفكاك من هذا النوع من الإرهاب.

ونلمح بوضوح هذا الاستسلام في قصيدة أخرى عنوانها: (طائر النار)[1]، إذ يستهلها الشاعر بذكر شيء من ممارسات هذا النوع من الإرهاب، الذي سلّمه إلى الحزن والخوف والضعف والضياع:

آتٍ إلـــى الأرض زادي الحـــزن فكلّمـا قمـت مختـالاً بـه أقـعُ

أنـا صـناعة أوضـاع مضعـضعة فـصورتي كلهـا مـن بعـض مـا

وجهـي متـاريس جنـدي وراجمـة من ثغرها يتهاوى الموت والفزع...

وآثار هذه الممارسات ممتدةٌ من الشرق إلى الغرب:

سمعت بالنيل فاستدرجت أجنحتي فالنيل فيه لهذا القلب متسعُ...

فلـم أجـد فيـه ينبوعـاً ولا شـجراً كانـــت بـــشطآنه الـــصحراء

عرفت كيف انطوى نخل العراق جمّاره، ومضى أهلي ولا رجعوا...

وتنتهي القصيدة- كسابقتها- من حيث ابتدأت؛ تحكمها نفس متذمّرة مستسلمة للواقع الجاثم.

٢- الإرهاب المجتمعي:

وهو الإرهاب الذي تمارسه على المجتمع قوى من داخل المجتمع نفسه، ويتنوع الإرهاب بين فساد المسؤولين، ودعوات المغرضين، وجشع التجار، وقسوة بعض العادات والتقاليد، وضياع معنى الوطن والوطنية،

---

١ - ينظر: ٣٦١.

والظلم، والمحاسبة على الكلمة وحرية الرأي... وغيرها مما يخلق في المواطن الخوف والقلق على نفسه وماله وحقوقه.

ويأتي الفساد والدعوات التي تسعى إلى تفكيك وحدة الوطن، من أبرز أنواع هذا الإرهاب الذي أقلق الشاعر؛ وبدا ذلك في قصيدة بعنوان: (العيد بمذاق جنوبي)[1]، وتحمل تاريخَ عيد الفطر من عام ١٤٣٠هـ، وفيها يشير الشاعر إلى حسد الحاسدين، وغدر الشانئين:

وطنٌ بأحلام الإمام توحّدتْ أطرافه، وتوحّد الأحرارُ

وينوا بأسفار الخلود حكاية لم تنس زهو فصولها الأسفارُ

ولذا يغار الحاسدون لأننا في ليلِ تيهِ دروبهم أقمارُ

غاروا، ومجد الفاشلين عداؤهم والليل من ضوء الصباح يغارُ

نصبوا شباك الغادرين وقدّروا لكنها خانتهم الأقدارُ

فهم لا يفتؤون يغارون، ويخططون، ويسعون إلى الإضرار؛ ولكن لم ينالوا شيئاً. وفي موضع آخر من القصيدة، يشير الشاعر بشكل عابر إلى إرهاب الفساد:

وامتدّ في أفق البلاد تسامحٌ وانداح في قلق العيون حوارُ

وأماط عن وجه الفساد لثامَه لما سرت بحديثه الأمطارُ

وقد جاء في معرض حديثه عن أهمية التسامح والحوار والمكاشفة، الذي قدّمه الشاعر علاجاً فاعلاً لكل مخدوع بتلك الدعوات المضللة، ثم أتبعه بما يتمتع به خادم الحرمين الشريفين- حفظه الله- من حبّ عميق من

---

١ - ينظر: ص٢٨٧.

قبل الشعب؛ ليكون- مع التسامح والحوار- الركيزتين اللتين تحفظان البلد من هاذين النوعين من الإرهاب:

في يوم عيدكَ أيها الوجه الذي عن بشره تتحدّث الأخبارُ
الملك ملك الناس حين يحبّكم شعبٌ، وتفدي عمرك الأعمارُ
الملك أنك بالقلوب مطوّق فعليك من جيش الغرام حصارُ

وبالتالي جاءت معالجة الشاعر للإرهاب هنا، إيجابية؛ لما تتسم به من واقعية وإصرار[١].

وبدا إرهاب الفساد المالي والإداري أكثر وضوحاً في قصيدة عنوانها: (شارع)[٢]، وهي تحكي وضع ذلك الشارع المهمَل من سنوات، والجديد الذي طرأ لتعاد سفلتتُه ورصفه وإنارته في مدة وجيزة؛ فقد افتتحها الشاعر متذمراً من الحال:

أوضاعنا من وضعنا تستجيز وشعبنا مستبسلٌ في الشخيز
شوارعٌ من جلدها هاجرتْ لأنه يخنقها في الهجيز
أجمل ما فيها إذا خلتها ذكرت في دنياي سوء المصيز
كأنها مما جرى فوقها من توسعات منكر ونكيز

ثم دخل في مشهد درامي لتلك الشركة التي حطّت معداتها ورجالها لإصلاحه، حتى بدا أكثر حسناً وجمالاً؛ ليأتي بعد ذلك حوار قصير، يكشف عن سبب تلك العناية:

---

١ - وينظر مقاومته لإرهاب الدعوات المضللة، بحب الوطن ووحدته: (الوطن النبيل)، ص٢٩٢.

٢ - ينظر: ص٣٠٠. وينظر في قصيدة: (دوار الفلك)، ص٣٧١.

قلت لهم: ماذا جرى كي نرى قوافل الأموات جهراً تسيرْ

قالوا وفي أصواتهم غصّة: غداً سيأتينا معالي الوزيرْ

فقلت: ماذا سوف يجري له لو أن من يأتي سموّ الأميرْ

وقد ضغط الشاعر في حواره هذا على الجرح مباشرة، وكشف من خلاله المشكلة التي لا تتعلق بنقص المال أو ندرة الأيدي؛ وإنما بفساد إداري سببه ضعف المتابعة وقصور في تطبيق العقوبة. أما خاتمة القصيدة فجاءت تأكيداً لمطلعها:

الشارع المسكين في وضعه حكايةٌ تروى لفكرٍ فقيرْ

وليس في أوجاعه أوّلاً يا سادتي ولن يكون الأخيرْ

وهي خاتمة مستسلمة للواقع؛ توقفت عند وصفه، ولم تقدّم علاجاً لإرهاب الفساد المستشري بتكراره.

وتدنو منها قصيدته (في بلدي)[1] التي عرّت هذا النوع- من الإرهاب المجتمعي- الذي انكشف للناس في سيول مدينة جدة. وقد افتتحها الشاعر داعياً الرحمن أن يحرس الوطن منه:

في بلدي يحرسه الرحمان.

تدور غيمة على رؤوسنا،

وتبدأ السماء حملةً من الحنان،

لكن نصف ساعة كفيلة

بقلب كفة الميزان.

---

١ - ينظر: ص٣٦٥.

وآثار هذا الإرهاب مدمّرة؛ تتجاوز الأضرار المادية إلى الصحية والبشرية، وبسببه لم يعد الإنسان آمناً على حياته حتى وهو في داره وبين أهله وأولاده؛ يقول:

فتزحف الوديان،

وتعلن المخططات حالة العصيان.

لكن قلب الماء مفطور على الطعان.

فتسقط الجدران،

وتذعر الأنفاق

والجسور،

والشوارع التي تزيّنت

بألف صورة عن الأمان.

ويلفت الشاعر في قصيدته إلى مدى خطورة هذا النوع من الإرهاب المجتمعي، الذي استطاع أن يتغلغل في المؤسسات الحكومية فيصنع صوتاً مؤثراً، ويصبح عضواً له كلمته في استصدار الحكم؛ وذلك في لجان لا حول لها ولا قوة:

فتُعقد اللجان.

ويبدأ البحث عن المدين والمدان.

ومن هو المسؤول عن كرامة الإنسان؟.

ومن هو الذي يوزع الفساد بالمجّان؟.

وبعد عام يكشف التقرير جرمنا،

فيصبح المجني عليه مجرما

ويصبح الجاني هو السّجان.

وتثبت اللجان

أن أرضنا عليلةٌ

وأن حلق صرفنا لديه حالة احتقان.

وتتوقف القصيدة- كسابقتها- على وصف هذا الإرهاب المستشري.

وفي قصيدة بعنوان: (فارس الصبح الجديد)[1]، يظهر بوضوح قلق الشاعر من الإرهاب المجتمعي ممثلاً في الدعوات المضلِّلة، والفساد؛ معلناً أنه سيبوح بما يمور في صدره:

سأبوح يا وطني الحبيب متاعبي من نارها تتوقد الأحشاء

ثم بدأ الشاعر هذا البوح بأسلوب مباشر في جملته، سعياً إلى إيصال الرسالة واضحة؛ فعرَض ملفَّي الإرهاب- الدعوات المضللة، والفساد- مستفتحاً بالأول الذي لم يعهده المجتمع السعودي:

واليوم يورق بين نخلك حنظل وعلى الصفاء تعشّش البغضاءُ

وتطلّ من بين الثقوب قوارضٌ وتجدّد الفُتيا لنا الدّهماءُ...

قوم على نهر الدماء تناسلوا فهم حزام ناسف ودماءُ

والحق عندهمُ جفاف عقولنا فأجلّ تاريخ العقول غباءُ

ووجودنا عار، وعقبى أمرنا نار، وطهر حياتنا فحشاءُ

باسْمِ الجهاد يفجّرون صغارنا فصغارنا وكبارنا أعداءُ

ويتاجرون على الهواء بديننا والدين زيف، والصلاة رياءُ...

باسْمِ النساء تقاد ألف سرية النصر فيه الليلة الحمراءُ...

في مثل هذا الوقت لا تستغربوا أن تستغيث بجمرها الرمضاءُ

---

١ - ص٣٠٦.

فهو إرهاب يستند إلى فكر ديني متطرّف؛ يجيز الخروج، ويستحلّ الدماء، ويلعب على أوتار العواطف الدينية خاصة. أما إرهاب الفساد فيراه الشاعر نتيجة حتمية للأول؛ فيما لو أهملتْ معالجته:

في مثل هذا الوقت لا تستغربوا أن تستغيث بجمرها الرمضاءُ

وهو إرهاب- كذلك- قائم على أرضية دينية ممثلة في الفتاوى التي تبيح المال العام:

أكلوا أكف المتعبين وخبزهم ولـديهم التجـويز والإفتـاءُ

وتناهبوا ثمر البلاد وظلها فمواطنونا نصفهم غرباءُ...

ونتيجته- كذلك- كنتيجة الأول، وهي هلاك الإنسان:

مدن على خطط الفساد تناسلت وتناسـل الفـساق والفقـراءُ

فـي شـبر مـاء يغرقـون بلادنـا والذنب يدفع أجره الضعفاءُ

وهنا يستثمر الشاعر قضية غرق بعض الأحياء في مدينة جدة للفت النظر إلى خطورة هذا النوع من الإرهاب الذي تجاوز الجشع إلى الإضرار بالمواطن، ويظهر هنا ذكاؤه في الربط بين هاذين الإرهابين فكلاهما يضرّ بالوطن وأهله، وفي توجيه الخطاب إلى خادم الحرمين الشريفين- حفظه الله- في مطلع القصيدة:

باسمي وياسم المخلصين دعاءُ ألاّ تكدر صفوك الأعباءُ

وفي خاتمتها بندائه:

والمجد يصنع بالفداء وكلنا يا فارس الصبح الجديد فداءُ

وبذلك اتّضح المقصود من عنوان القصيدة، ونجح الشاعر في كشف هاذين النوعين من الإرهاب المجتمعي لصاحب الشأن الذي لديه القدرة على مواجهتهما؛ متطلّعاً بشخصه إلى صباح مشرق.

وهناك نوع آخر من الإرهاب المجتمعي تمثّل بضياع الوطن ومعنى الوطنية، وخطورته لا تقلّ عن إرهاب الخروج والفساد؛ بل ربما كان أُولى الخطوات إليهما. وقد أحسّ الشاعر بهذا النوع من الإرهاب في أكثر من قصيدة، ومن ذلك قصيدته (كان ياما كان)[١]؛ وفيها أجاد المقابلة بين حلم الطفل بالوطن المنشود الذي يفتخر به، وواقعه بعد أن كبر وأدرك:

كان بهياً مثل الشمس،
عصامياً، نظامياً،
يشبه حب الرمان.
..
مفتوناً بالكلمات الأولى،
معجوناً بهوى الأوطان.
طال... وظل بهياً مثل الشمس،
أتقن كل لغات العشق، وظل يفتش عن ناصية في الحب بلا عنوان.
ظل بهياً ونقياً مثل الشمس،
يسافر في أحداق الشرفات، ويبحث عن رائحة الوطن المسروق على الجدران.
كان... وصار مدينة أحزان تبحث في الأحزان عن الأحزان.
يا أبتي ماذا تعني الأوطان؟...إلخ

أما عن معالجة الشاعر لهذا النوع من الإرهاب المجتمعي؛ فلم يكن متوائماً مع حجم خطورته؛ إذ اكتفى بنقل الواقع كما هو، والاستسلام له كما جاء في الخاتمة:

يا أبتي حاولت، ولكن كل لغات الدنيا خانتني

---

١ - ص٣٣٣.

في بلدي لغة لم أتقنها حتى الآن.

وعانى الشاعر من وطأة هذا النوع من الإرهاب في قصيدته: (تيه)[١] التي حمل عنوانها معاني الضياع والأسى والحسرة، والرغبة في الهروب إلى عالم آخر يجد وطنه فيه ولو كان من نسج الخيال؛ وبدا ذلك بوضوح في المطلع الاستفهامي الانفعالي:

من أي باب سوف أخرج يا إلهي؟!

ضاقت- بما رحبت- علي مدائن الرؤيا..إلخ

ويجمل الشاعر صفات الوطن الذي يحلم به والذي سُلب منه؛ ففيه أمان الروح، وروعة الإحساس بالانتماء إليه والافتخار به:

لي مثل خلق الله أحلام

بأوطان تسافر في حنايا الروح،

بستاناً من النجوى،

على أغصانه سجد الزمان، وحلقت سفن البهاء.

وطناً له في القلب عشق مثل شوق الأم للقبلات

من ثغر الطهارة.

وطناً إذا دارت مقاطعه نغني: دان دان.

وطناً... وأفئدة لها دفء الشموس

ونكهة الفرح البدائي.

ولا يجد الشاعر مفرّاً من هذا الإرهاب- ضياع الوطنية- إلاّ بالخروج من عالمه الواقعي، والولوج في الخيال حيث النور والحب والطهر؛ ولكن ما هي إلاّ لحظات ليجد نفسه مطروداً إلى واقعه المرّ:

ودخلت محراب الغرام مكللاً بالنور،

---

١ - ينظر: ص٣٤٩.

حتى ذاب وجهي في ضيائي.

..

وخرجت مجذوباً

أسائل عن يدي،

وما يرى الرائي عليّ،

وأسأل العشاق، عمن لم يصل معي

ولم يترك حذائي؟!

وهنا يسكت الشاعر، وتنتهي آماله تحت وطأة اللاّوطنية.

ومن الإرهاب المجتمعي الذي لفت إليه الزهراني، إرهاب المحاسبة على الكلمة والرأي، وما تخلقه في النفس من قلق وخوف من المحاسبة؛ ومن ذلك ما جاء في مقطّعة بعنوان (الكلمة)[1]:

عند من كان منهم...

ومن لن يكون.

هي أشرعة السحر، بوابة الطهر،

نهر من الأمنيات،

وفجر من الأغنياتِ

يصيب الحصى بالجنون.

هي خيط من النور يفتح للعمي أفق الحياة،

يطيل الجباه.

وهي في عرفنا تهمةٌ واشتباه

والمصير السجون.

---

١ - ص٣٣٥.

وهنا يكتفي الشاعر باللفت إلى هذا النوع من الإرهاب، متّكئاً على التلميح والإبهام باستخدام المقابلة بين الأنا والآخر- من كان منهم ومن هو منآ-؛ وهنا يتقاطع إرهاب المحاسبة بإرهاب العادات والتقاليد (في عرفنا)؛ ليصبح أمامنا أكثر من آخر وأكثر من أنا، ولتتسع معه دلالة العنوان.

ومن أنواع الإرهاب المجتمعي التي حضرت في شعر الشاعر، إرهاب الظلم والظلم السياسي خاصة؛ وما نتج عنه مما اصطلح عليه بعضهم بـ (الربيع العربي). ونلمس ذلك في أكثر من قصيدة[1]، منها قصيدة عنوانها عنوان المجموعة نفسها: (اللحن الأخير على شفة المغني)[2]؛ وموضوعها الثورة الشعبية السورية، وفيها يشير الشاعر إلى الممارسات الإجرامية التي ارتكبها النظام ضد الشعب طوال عقود:

سرقتْ بهاءك يا شآم عصابة ... تسعى لشطبك فكرة ووجودا

باعتك جهراً كي تصون عروشها ... ولكي تظل لسارقيك رصيدا

فالشام قيمته لدى جلاده ... كم يقبض الجلاد منه نقودا

يا شام ما أقسى الفجائع عندنا ... لما يسمّون اللصوص أسودا

وتصير فينا المويقات بطولة ... ويصير ذبح الأقربين صمودا

ستون عاماً، والشآم مصفد ... والأرض تنبت أدمعاً وقيودا

حيث سرق النظام جمال سوريا، وباعها بثمن بخس من أجل بقائه في الحكم، وقتّل أهلها؛ ولا زال كذلك منذ ستين عاماً. وقد وقف الشاعر أمام

---

١ - ينظر مثلاً في القصائد: (أغنية خارج القفص) (السيد المستباح) (غلاف) (في عرين الأسد): ص٢٢٧، ٢٣٧، ٣٦٢، ٣٦٧.

٢ - ص٣٤٠.

هذا الإرهاب بسلاحين: سلاح دعوتها إلى الصبر والاتّكال على الله تعالى واستشراف مستقبلها بما كان عليه ماضيها:

يا شام حسبكَ أن تكون وحيدا وتظل مثل الرائعات فريدا...
من هاهنا عبر الغزاة بخيلهم ويقيتَ فوق العابرين مديدا
عاندتَ تيار الخنوع، ولم تلن فالله صاغك للخطوب عنيدا...

وسلاح الدعوة الصريحة إلى وقوف الشعوب العربية- بوضوح- مع الشعب السوري المظلوم المكلوم، حتى بالروح والدم؛ لينتهي الظلم ويبوء الظالمون:

فأتوكَ من مدن الرياح فيالقاً خضرَ الملامح ركّعاً وسجودا
يتسابقون إلى رضاكَ سعادة أفلا تكون بمن تحب سعيدا؟!...
مهما استطال الظالمون بظلمهم سنظل نحفر للظلام لحودا
لا عيش بعد اليوم تحت سياطهم فلقد رفضنا أن نعيش عبيدا

وأحسّ الشاعر بوطأة هذا النوع من الإرهاب، في قصيدة أخرى بعنوان (بهية)[1] الذي رمز به إلى مصر، وتاريخ القصيدة مواكب للربيع العربي هناك؛ حيث إرهاب حكم العسكر الذي جثم عليها عقوداً، والانتفاضة الشعبية التي لم تعدْ تطيق بقاءه:

وتعبتِ..
فلقد كنتِ الذي ضحّى،
وأصبحت الضحيةْ.
الوجوه العسكرية،
صفّدت كفّيك،

---

١ - ينظر: ص٣٤٢.

واستبقتك في زنزانة الجرح،

تنادين المحبين،

ولكن ما أجابوك،

نسوا الأمّ الوفيةْ.

وآخر المقطع عتابٌ صارخ على الصمت الغريب أمام هذا الإرهاب الذي طال، وكأن الوصية قد كتبت وقضي الأمر؛ ولكنه- في الواقع- لم يكن كذلك:

عندها شقوا لك القبر،

وصلّوا،

وادعوا أنك دوّنت الوصيّةْ،

فنهضت من رماد الوقت فينيقاً

وأنكرت القضية.

ولعنت كل من خانوك

من أعطى المفاتيح أعاديك...إلخ

وقد أجاد الشاعر في استجلاب التاريخ العميق لمصر الإسلامية، واستعراض بطولاتها ووقفاتها أمام الظلم والظالمين؛ فابتدأ القصيدة بذلك:

يا بهيةْ،

ألف مليون سلام وتحيّةْ،

يا رحيق اللغة الأولى

وعطر الأبجديةْ...إلخ

وختمها بالتأكيد على بقائها كذلك حتى هذا العصر:

ونهضتِ..

وكتبتِ: لم تمت بعد بهيّةْ.

فانتشى النيل على وقع خطاك،

سقط الحاوي على جمهوره لما رآك،
وانتهت كل فصول المسرحيةْ.

وبالتالي جاءت معالجة الشاعر لهذا النوع من الإرهاب معالجة إيجابية إلى حدّ كبير، بدءاً من العنوان الذي يعني البهاء؛ حيث استحثّ فيها همم الشعوب العربية من أجل الوقوف في وجه الظلم والظالمين، مستثمراً التاريخ بلغة الفخر والعزة لا بلغة التأسي والتصبّر كما ظهر في القصيدة السابقة.

١- إرهاب الزمن:

نستطيع أن نسمي النوع الثالث إرهابَ الزمن، وتبدو أعراضه بالإحساس بالوحدة، والضياع في الحاضر، والخوف من المستقبل؛ ومصدره- في الغالب- تخيلاّت وأوهام تصيب الإنسان والفنان خاصة جراء مصيبة حلّت به، وهذا لا يمنع من أن يكون نتيجة طبيعية لوقوع الإنسان تحت وطأة النوعين السابقين للإرهاب. ويمكن أن نلمس هذا النوع من الإرهاب[١] عند الشاعر، في قصيدة له بعنوان: (لغة العشق)[٢]؛ إذ يقول:

كسر الزمان جوانحي وقصائدي ... فقصائدي شبابة وجراحُ
وهديل عصفور دعته يد الهوى ... فرنا، ولكن عاجلته رماحُ
كسرت جناحاً كان يتقن صفّه ... واليوم يعجز أن يرفّ جناحُ

فالزمان هنا مصدر إرهابٍ للشاعر بسبب اعتدائه عليه وعلى شعره، غير أنه يقف في مواجهته مستعيناً بسلاحين: شعره العظيم بما يحمله من معان تُعجز الشراح عن أن يحيطوا بها، وبمن يخاطبها:

---

١ - وينظر مثلاً: (يقول الرواة)، ص٣٧٣.

٢ - ينظر: ص٣١٤.

فأتيت يا نهر الفتون على فمي شعر يضلّ بيمّه الشراح

ويظهر لنا أن المخاطبة مكة المكرمة، لما لها في قلب الشاعر من منازل؛ وربما أكد ذلك أن الشاعر نظم قصيدةً في خمسين بيتاً تقريباً موضوعها الأساس تلك البقعة الطاهرة، وميلاد القصيدتين متقارب[١].

ويظهر إرهاب الزمن في قصيدة أخرى بعنوان: (محمد المغربي)[٢]، ويبدو الشاعر أكثر معاناة هنا بما يقاسيه من ألم الوحدة:

ما أضيق الدنيا إذا لم تلق في طول الرحيل المرّ أفئدة تشاطرك الصبابة،

وتفكّ أقواس الكآبة،

وتكون سيفاً في يمينك،

حين لا كفٌّ يجود،

ولا سلاحُ.

ما أضيق الدنيا إذا ألجأت ظهرك للجدار ولا جدار!،

ورأيت عنقود الفؤاد على سرير الحزن يذوي،

وبحثت عن كفّ وقلب،

وسألت كيف أحبّتي صلّوا وصاموا؟.

فالشاعر في هذا المقطع يعاني ويقاسي من إرهاب الزمن الذي عبر عنه بضيق الدنيا إذا انعدم الشبيه المعين، وكرره متعجباً مستاء مما أحدثه

---

١ الأولى بعنوان (فصول من ولَهٍ قديم) بتاريخ٤- ٤- ١٤٢٨هـ، وتاريخ هذه القصيدة١٢- ٤- ١٤٢٨هـ.

٢ - ينظر: ص٣١٥. وقد أهداها إلى خاله كما يظهر في التقديم للقصيدة: "قال صلى الله عليه وسلم لسعد بن أبي وقاص: هذا خالي، فليرني امرؤ خاله. إلى خالي العزيز الذي إذا ذكرته علمت أنني لست وحدي".

فيه من ألم الوحدة؛ ذلك الإرهاب الذي كان يعينه عليه خاله كما صرح بذلك في مطلع القصيدة:

فرعان من غصن المواجع،

لا تهب الريح إلا كي نشدّ أكفّنا،

ونقول: هبّي.

أمّا بعد أن أمسى الشاعر وحيداً، فم يعد يملك سلاحاً- يواجه به إرهاب الزمن- غير اثنين: الأول ذكرياته مع خاله؛ وهو علاج سلبي بامتياز لأنه يذكي الإحساس بالضعف، وقد وظّفه الشاعر في معظم قصيدته. والآخر اعترافه بالحقيقة، والتجاؤه إلى الله في مواجهتها:

ما كان حولك...

كانت النجوى،

ملاءات البياض، ونكهة المشفى، وعنقود الفؤاد فما يلبّي.

ورأيت أن الأرض واسعة،

وأن الله أكرم من تحبّ، ومن يحبّ،

أن الناس في سهر يطول وهم نيامُ.

وقد وظفه الشاعر في خاتمة قصيدته بشكل إيجابي؛ مما يعطي مؤشراً على بقائه قوياً بما يكفي في مواجهة الزمن وقساوته، وأنه ليس الوحيد في ذلك ما استعان بإيمانه.

ونجد هذا النوع من الإرهاب جاثماً على صدر الشاعر في قصيدة أخرى بعنوان: (أحبابي)[1]؛ الذين كانوا عون الشاعر:

ورسمت أحبابي نخيل كرامة آوي إليها حين يشتد الزمان،

وتنطفي عينا صباحي.

---

١ - ينظر: ص٣٢٣.

ولكنهم لم يكونوا عند ظنه، بل صاروا مع الزمن حين كرّ عليه:

لكنه لما استدار الوقت لم أجد الذين حملتهم قرناً على ظهري

ولم ألقف لهم..

ووجدت في ظهري رماحي.

ونلاحظ في هذا القصيدة كيف أحكم اليأس قبضته على الشاعر بشكل واضح- من مطلع القصيدة إلى خاتمتها- وأن تلك المواجهة المأمولة للانتصار على إرهاب الزمن ممثّلاً بمن حوله، لم تقم أصلاً؛ إذ انكفأ الشاعر على ذكرياته الجميلة التي استجلبها بالفعل (كانوا، كنت) أربع مرات في المقطع الثاني.

وختم الشاعر قصيدته التي عنونها بـ (ضد فلسفة الانحناء)[1]، بما يوحي باستسلامه لإرهاب الزمن الذي يستعبد الإنسان ويذلّه:

لماذا؟، وأنت الوحيد الذي كان لا ينبغي...،

وعبد القدير العزيز..

تكون الوحيد الذليل.

ولكن سرعان ما يزول ذلك حين نقرأ القصيدة مرة أخرى ونتمعن فيها، لنرى في الخاتمة ميلاد قوة نفسية- في الشاعر- كفيلة بمقاومة إذلال الزمن له؛ فقد استفتحها بحال النخيل الذي لا ينحني أبداً، وإن ظمئ وجاع:

تجوع النخيلُ،

ولا تنحني إذ تجوع النخيلْ،

تلفّ على بطنها نكهة الطين قبل انحسار الندى بين ذراته،

لا تمل الوقوف، ولا تعرف المستحيل.

---

١ - ينظر: ص٣٥٩.

ثم ثنى بإصرار الحصان في ساحات الحروب، وغناء العصفور في الأقفاص.. لتأتي الخاتمة الاستفهامية دافعة للتغيير إلى مستقبل أفضل بالكفاح والإصرار والتطلّع إلى الحرية من قيود الزمن؛ وهنا نستطيع أن نقرأ العنوان جيداً (ضد فلسفة الانحناء).

الجمع بين أكثر من نوع:

ربّما واجه الدكتور صالح الزهراني في التجربة الواحدة أكثر من إرهاب، فجاءت ذات طعم مختلف عن تجاربه الأخرى التي واجه بها نوعاً واحداً؛ ونجد مثل هذا الجمع في قصيدته: (أغنية على شفير جهنم)[1]؛ يقول:

راحل والجهات تصطكّ حولي ... فسبيلي يضلّ فيه الدليلُ

تنبت البيد حيرة وسؤالاً ... والمسارات غربة وذهولُ

كنت أبني مآذناً وقباباً ... وجباهاً لربها تستطيلُ

يزرع الليل في رؤايا سواداً ... والثريا في خافقي وسهيلُ

ويتمثل في هذا المقطع إرهاب الزمن الحاضر في وطأته الثقيلة على الشاعر الراحل، الحائر، المثقل، ذي الآمال المحطمة، والرؤيا السوداوية؛ غير أنه لا يستمرّ منقاداً لهذا النوع من الإرهاب، إذ يقول بعد هذه الأبيات:

يزرع الليل في رؤايا سواداً ... والثريا في خافقي وسهيلُ

مثقلٌ كالسحاب، قلبي رياض ... مترفات لا يعتريها الذهولُ

أتسامى على الجراح وقلبي ... فيه من جيش جرحنا أسطولُ

فكأنّا على التلظي جبلنا ... وكأنّ اللظى لنا مجبولُ

فهو يهرب منه، أو يواجهه؛ مستعيناً بقلبه المنير، الندي، القوي؛ وهو نوع من التسامي عما يجده من جراح كما صرح بذلك. وقد استعان عليه

---

١ - ينظر: ص٢٨١.

باستجلاب شواهد- من الماضي والحاضر- على قوة الصبر والجهاد في مواجهة المعتدين:

فوق نهر الرصاص سارت (أريحا) وتصدى للقاذفات (الجليلُ)
فيلق النصر جنده من حصاها (زكريا) من طلعه و(البتولُ)
والشآم العظيم كفّ وصفّ وحسام وفارس وصهيلُ
زلّ فيها وزال ألف دخيل وهي شمس عن أفقها لا تزولُ
لم يهزّ الشآمَ ما كان ينوي من قديم، وما سينوي (المغولُ)
(العراق) العريق لم يحنِ رأساً هلّ طفلاً وسيفه مسلولُ
و(الفرات) الصبور ما زال عذباً يتنزّى نميره السلسبيلُ
الرباب الحنون يحنو عليه وعلى راحتيه تلهو النخيلُ
ما تعبنا في الحبّ مهما تعبنا مال ركب وركبنا لا يميلُ
الدماء التي سكبنا رحيق والضحايا لحبّنا إكليلُ

وهنا يلتقي إرهاب الزمن وإرهاب الأعداء، وتتحد قوتا الماضي والحاضر في مواجهتهما، وليت الشاعر انتصر بهما؛ فقد عاد مرهوباً من مواقف الأعداء وتفكّك الأمة وتحزبها، يقول:

فلماذا باع الشهيدَ بليل موقفٌ خائن ووجه ذليلُ؟
البطولات أصبحت دون فحوى فهي خزي ونكبة وفلولُ
وهي عزف على الجراح وزارٌ ومجون وزفّة وطبولُ
أشرعت في الظلام تسعين باباً ليس منها إلى الصباح سبيلُ
حللونا حتى تحلّل منّا كلّ شيء، وانحلّ رأسٌ وذيلُ
حللونا فلا استبانت طريقٌ لخلاص، ولا استبانتْ حلولُ

كلها في نضال حبكة زيف خدّرتنا، وكلّها تمثيلُ

حسبنا الله رينا وكفانا فهو نعم المولى ونعم الوكيلُ

فقد بيعت دماء الشهداء، وشوّهت البطولات، وأسدل الظلام، ولم تعد هناك مواجهة لهذا الإرهاب المركب سوى الاعتذار والدعاء والحسبلة؛ ولم يعد أمام الشاعر إلا أن يستسمح المخاطبين على صراحته التي أحالت غناءه إلى عويل:

جئت حباً، والحق ينسج لحدي ليس من طبع أحرفي التضليلُ

وغنانا نصفان نصف طلول موحشات ونصفه تطبيلُ

فاعذروني إذا ابتدأت غناءً فاحتواني مع الغناء العويلُ

سامحوني إن قلّ في العشق شرحي فكثيرٌ ممن نحبّ القليلُ

قيمة الحبّ أنه ليس يُدرى فهو سرّ في طبعه مجهولُ

الخاتمة

في الأخير يمكن القول بأن مفهوم الإرهاب في شعر الدكتور صالح بن سعيد الزهراني، موصوف بالاتساع؛ حيث تجاوز الإرهابَين العالمي والمجتمعي إلى آخر، المتَّهمُ فيه الزمن بقسوته وشدة وطأته على الشاعر. وقد تميّز الإرهاب العالمي بحضوره الكبير، بينما تميّز الإرهاب المجتمعي بتنوعه، وأكثر أنواعه حضوراً إرهابا الفساد، والدعوات المضللة؛ كما تميزت بعض قصائده بالجمع بين نوعين من الإرهاب، أقلقا الشاعر.

وتنوعت معالجة الشاعر لقضية الإرهاب، فجاء بعضها بطريقة سلبية؛ تقوم على جلد الذات، وتجرّع مرارة الواقع والاستسلام له قدراً محتماً، واستجلاب خذلان السابقين، أو الهروب من الحاضر إلى الماضي المجيد أو إلى مكان يقتلع الشاعر من واقعه، أو انتظار بطل مخلِّص لماّ يأتِ وقته بعد. وجاء بعضها الآخر بطريقة إيجابية؛ تقوم على الدعوة إلى التمسك بالوحدة الوطنية، والحوار والمكاشفة والتسامح، ومواجهة الإرهاب بالتصبّر والسعي إلى الفكاك من قبضته، ومخاطبة الشخصية القادرة على التخليص منه.

وهنا نستطيع أن نقول: إن الشاعر لم يواجه الإرهاب بإرهاب؛ فلم يدعُ إلى أكثر من مقاومة الظالم واستعادة الحق بغير ظلم، ولم يعتمد لغة السخرية والتهكم والنيل من شخص ما أو من عرضه، ولم يحرّض[1]؛ فيذكي

---

١ لدور الشعر في تحريض المجتمعات منذ العصر الجاهلي، ينظر: **الانعكاسات السلبية لشعر التحريض على المجتمع العربي بين الماضي والحاضر**، د. صباح علاوي السامرائي، أحد البحوث المقدمة في مؤتمر الأدب في مواجهة الإرهاب

المشاعر ويثير العواطف من أجل توجيهها توجيهاً سلبياً لهدف غير مشروع.

وأما في الجانب الفني، فقد لاحظنا في لغة الشاعر أمرين: القوة، والذكاء في توظيف مفردات من اللهجة العامية وأخرى غير عربية؛ وذلك من أجل تقريب المعنى، وإذكاء مشاعر المتلقي بدلالات تلك المفردات التي هي الأقدر في استيعابها. ولاحظنا- كذلك- اتكاء الشاعر على ظاهرة التكرار الذي تنوعت أهدافه بين لفت انتباه المتلقي إلى قضية، أو التأكيد على فكرة معينة، أو لاستحضار مفردة لها مكانتها عنده. وربما استخدم الشاعر الأسلوب المباشر إدراكاً منه إلى خطورة الموضوع الذي يتطرق إليه، وحرصاً على إيصال الرسالة إلى المتلقي بوضوح تام.

وقد أحسن الشاعر توظيف المحسنات البديعية دون تكلف، فحضر الجناس والطباق والمقابلة، وكشف عن قدرته في توظيف المفارقات حتى في بعض العناوين، كما كشف عن قدرته الكبيرة في استحضار الماضي، وفي توظيف أحداثه بما يخدم محاربة الإرهاب.

والمعقود يومي ١٥- ١٦/ ٣/ ١٤٣٣هـ في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، والمنشور في السجل الخاص به، ٣/١٠٩٩-١١٤٩.

قائمة المراجع

- الإرهاب وأثره على البلاد والعباد، أ.د. عبد الله محمد الطيار، مقال منشور في شبكة الألوكة: /http://www.alukah.net/sharia/٠/٩٧٠٢/
- الأعمال الشعرية، صالح بن سعيد الزهراني، ط١ ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م، النادي الأدبي الثقافي في جدة.
- الانعكاسات السلبية لشعر التحريض على المجتمع العربي بين الماضي والحاضر، د. صباح علاوي السامرائي، أحد البحوث المنشورة في السجل العلمي لمؤتمر "الأدب في مواجهة الإرهاب" بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية يومي ١٥-١٦/٣/١٤٣٣هـ، ٣/١٠٩٩-١١٤٩.
- تقنيتا الصوت والحركة في رواية "سوق الإرهاب" لمحمد عبد الله القواسمة، د. عصام حسين أبو شندي، أحد البحوث المنشورة في السجل العلمي لمؤتمر "الأدب في مواجهة الإرهاب" بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية يومي ١٥-١٦/٣/١٤٣٣هـ، ٣/٩٤١-٩٨٠.
- تهذيب اللغة، محمد الأزهري الهروي، تحقيق محمد عوض مرعب، ط١ ٢٠٠١م، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
- صور الإرهاب الصهيوني في الشعر الفلسطيني المعاصر، حسن جعفر نور الدين، رسالة النجف الصادرة من جامعة النجف، السنة٤ العدد١٢ محرم١٤٢٩هـ-٢٠٠٨.
- صور العنف السياسي في الرواية الجزائرية المعاصرة، سعاد عبد الله العنزي، ط١ ١٤٣١هـ، دار الفراشة، الكويت.

- كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق د.مهدي المخزومي و د.إبراهيم السامرائي، طبعة دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان.
- لسان العرب، ابن منظور، ط٣ ١٤١٤-١٩٩٤م، دار صادر، بيروت، لبنان.
- مخاطر الإرهاب الاجتماعي، السيد يسين، صحيفة الأهرام، الخميس ٥ رجب ١٤٣١ هـ ١٧ يونيو ٢٠١٠ السنة ١٣٤ العدد ٤٥١١٨.
- مقاومة الإرهاب في الشعر السعودي المعاصر (شعر عبدالرحمن العشماوي أنموذجًا)، د. بيسم عبد العظيم، مجلة الأدب الإسلامي/العدد ٥٠/١٤٢٧-٢٠٠٦م، ص١٨-٢٧.

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية
٢٠١٤/٦٨٨٤٤م